محاضرة رقم 3: المنهج المقارن في دراسة المدينة والظواهر الحضرية

عناصر المحاضرة رقم 3:

تمهيد

1- المنهج المقارن في الدراسات والبحوث الحضرية

2- قواعد وأسس المنهج المقارن في دراسة المدينة والظواهر الحضرية

تمهيد:

يعتبر المنهج المقارن أكثر المناهج توظيفا في علم الاجتماع، فلا يخلو بحث اجتماعي أو دراسة ميدانية من استخدامه في معالجة الظواهر الاجتماعية، فالمقارنة بين الظواهر تعتبر المبدأ المنهج الأولى الذي وظفه الإنسان في فهم الظواهر المحيطة به، حيث قارن بين الأوزان والأطوال في عالم الأشياء وعالم الأحياء، ثم انتقل العقل الإنساني إلى عملية المقارنة بين الجماعات الاجتماعية والمجتمعات الإنسانية، من حيث الحجم والكثافة والتطور الاجتماعي، لذلك سنعرض في هذه المحاضرة مبادئ وأسس المنهج المقارن، وكيفية توظيفه في دراسة المدينة والظواهر الحضرية

- المنهج المقارن في علم الاجتماع:

وُظف المنهج المقارن بكثافة في الدراسات والبحوث السوسيولوجية، بل واعتبر الركيزة المنهجية الأساسية في دراسة الظواهر الاجتماعية، وتعتبر الدراسات الثنائية التي يزخر بها الحقل السوسيولوجي لهمدليل على هذا التوظيف، فنعثر في هذا السياق على دراسة اميل دوركايم عن التضامن الالي والتضامن العضوي، حيث قارن بين المجتمعات التي سيودها التضامن الاولي، والمجتمعات التي يسودها التضامن الثاني، والذي أرجعه إلى متغير التقسيم الاجتماعي للعمل، وكذلك نعثر على دراسة جورج تونيز عن المجتمع والمجتمع المحلي، حيث بين كيف الخصائص الاجتماعية التي تميز كل نظام اجتماعي، نذكر منها معدلات الفردانية وطبيعة العلاقات الاجتماعية، وأشكال التضامن الاجتماعي، ودرجة الوعي الثقافي والسياسي، لذلك استخدم المنهج المقارن بكثافة في الدراسات المؤسسة لعلم الاجتماع، ومن الدراسات الميدانية التي وظف فيها المنهج المقارن: دراسة دوركايم عن الانتحار، ودراسة زنانكي عن الفلاح البولندي وغيرهما.

1- المنهج المقارن في الدراسات والبحوث الحضرية:

- نجد في علم الاجتماع الحضري تطبيقات متعددة ومختلفة للمنهج المقارن، سواء في الدراسات الكلاسيكية أو الدراسات الحديثة، وخاصة الاتجاه النظري الموسوم بالاتجاه بالثنائيات الاجتماعية، حيث يقارن الباحثين فيه بين خصائص المجتمع الريفي والمجتمع الحضري، كالمقارنة بين الجماعات الاجتماعية،وطبيعة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وتوزيع الأدوار الاجتماعية، والتراتبات الاجتماعية داخل المجتمع الحضري، وكذلك المقارنة بين القرية والمدينة، وبين المدينة الراسمالية والمدينة الكولنالية، وغيرها .

- وُظف المنهج المقارن في الدراسات الحضرية في مقاربة الكثير من الظواهر الحضرية، مثلا ظاهرة الجريمة داخل المدينة الواحدة، حيث يقارن الباحثون بين معدلات الجريمة المنتشرة بين الأحياء السكينة، ويحاول أن يربط الباحث بين معدل الجريمة والمنطقة السكينة، وكثير من الظواهر التي يدرسها الباحثون في علم الاجتماع الحضري يكون منطلقها الأول المقارنة في درجة حضور الظواهر في الواقع الاجتماعي الحضري.

- يوظف الباحثون المنهج المقارن في المقارنة بين النتائج التي تخلص إليها الدراسة الامبريقية للظواهر في علم الاجتماع الحضري، فمن الأمثلة البينة على هذه الممارسة، بحث شمبارت لوي عن التجمعات العمرانية الباريسية، حيث اخذ بالمدخل الايكولوجي لتطور المدن الذي وضعه بارك وزملاؤه، إلا أنه اكتشف عند المقارنة أن النمو الايكولوجي للمدن الفرنسية يختلف جذريا عن النمو الذي عرفته المدن الأمريكية، فلا يتطابق من حيث الشكل والامتداد والنمو العمراني، وبالتالي، المنهج المقارن تم توظيفه في تفنيد النظرية الايكولوجية في علم الاجتماع الحضري، والبحث عن مداخل نظرية ملائمة لدراسة المدن الأوربية.

2- قواعد وأسس المنهج المقارن في دراسة المدينة والظواهر الحضرية:

- من القواعد الأساسية التي يقوم عليها المنهج المقارن في علم الاجتماع الحضري؛ طبيعة الوحدات الاجتماعية التي يتخذها الباحث كمنطلق لتحيل الظاهرة الاجتماعية قيد الدراسة، حيث يهدف المنهج المقارن إلى:

- معرفة التشابه والتبيان بين الظواهر الحضرية داخل المدينة.

- تبيان مدى التكرار الظاهرة الحضرية، مما يعني تكرارا الأسباب المنتج لها داخل المجتمع الحضري.

- الوقوف على الخصائص الاجتماعية لكل مجتمع حضري ومقارنته بمجتمعات أخرى.

- تهدف المقارنة إلى توضيح طبيعة التحولات التي عرفتها المجتمعات الحضرية، والتغيرات الاجتماعية للمدن والأحياء السكنية والضواحي والأطراف الحضرية.

-المقارنة بين وحدات اجتماعية كبيرة الحجم:

- نستخدم في مثل هذا النوع من المقارنات، المقارنة بين وحدات اجتماعية كبرى، كالمقارنة بيم مجتمع ما ومجتمع آخر، مثلما قارن هربرت سنبسر بين المجتمع الصناعي والمجتمع الزراعي وبين خصائص كل مجتمع، ونجد في علم الاجتماع الحضري تلك الدراسات التي قارنت بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري.

-المقارنة بين وحدات اجتماعية صغيرة الحجم:

-يستخدم مثل هذا النوع في المقارنة بين وحدات اجتماعية صغير، كالمقارنة بين مختلف الجماعات الاجتماعية، أو الفئات المهنية، أو الجماعات الثقافية، وغيرها، حيث نتخذ من الجماعة الاجتماعية كوحدة للتحليل السوسيولوجي، واستخدم هذا النوع من المقارنة في الدراسات الباكرة في علم الاجتماع الحضري، كدراسة براك ويرث عن الحي السكني القيتو.

-المقارنة بين وحدات اجتماعية كبيرة الحجم مع وحدات اجتماعية صغيرة الحجم:

- يستخدم هذا النوع في المقارنة وحدتين اجتماعيتين مختلفتين من حيث الحجم، مثلا كالمقارنة بين المجتمع والمجتمع المحلي، مثلا دراسة المجتمع المحلي السطايفي والمجتمع الجزائري، حيث يقف الباحث على الاختلاف في خصائص كل مجتمع، وينطلق من فرضية خفية ترى ان المجتمع هو امتداد ونمو للمجتمع المحلي، ومن الدراسات الشهيرة في علم الاجتماع الحضري، نجد دراسة رادفيلد المعروفة بالمتصل الريفي الحضري، عندما قارن بين أربعة مجتمعات متدرجة من صغيرة الحجم في القرية إلى المجتمع الكبير في المدينة، وكشف ان هناك تغير على طول هذا المتصل الريفي الحضري.

-مقارنة ظاهرة اجتماعية واحدة داخل مجتمع واحد عير مراحل زمنية متباعدة:

- هنا، يختار الباحث ظاهرة اجتماعية حضرية، ويحاول أن يعرف جذورها التاريخية، والأشكال التي أخذتها عند نفس المجتمع في مراحل تاريخية مختلفة، مثلا ظاهرة الانتحار في المجتمع الحضري الجزائري في السبعينات من القرن الماضي، بظاهرة الانتحار في المجتمع الحضري الجزائري في الزمن الراهن، في مجال علم الاجتماع الحضري، مثلا دراسة ظاهرة النمو الحضري في مجتمع ما، نجد في الجزائر عرفت عديد التغيرات عبر سياقات التاريخ، مثلا السياق العثماني، السياق الاستعمار الفرنسي، ثم سياق الاستقلال الوطني، فنقارن الظاهرة عير هذه السياقات التاريخية، ونكتشف عن العوامل التي تسببها في كل مرحلة تاريخية.

- المقارنة بين المدينة والمدينة مابعد الحداثة، المدينة ما بعد الكولنيالية.، هذه المدن التي اختارت نموذجها التنموي، الذي يختلف جذريا عن المدينة الغربية.

- من الباحثين من يرى أن السوسيولوجيا الحضرية إذا أرادت أن تستمر في دراسة المدينة عليها أن تفتح مجالات جديدة في مجال المقارنة، وذلك عبر إدخال أدوات وتقنيات منهجية جديدة، وضرورة انفتاح الدراسات المحلية على المستوى العالمي.

- يجب أن لا نقتصر في المقارنة على موضوعين فقط، بل يمكن أن تكون المقارنة ثلاثية.

- يمكن أن يقارن الباحثين بين عديد الأحياء والمناطق السكنية داخل المدينة الواحدة، أو عبر عدة مدن.

- نجد من الدراسات الحديثة التي وظفت المنهج المقارن دراسة اشتغل فيها الباحثون على المقارنة بين نمط التنشئة الاجتماعية بين الأحياء السكينة الفقيرة والبرجوازية.

- دراسة مقارنة بين أطفال الأحياء السكينة الغنية و الأحياء السكينة الفقيرة.

- من الدراسات المقارنة التي اهتمت بالمقارنة في مجال السياسات العمرانية.

-هناك أيضا الدراسات المقارنة التي اهتمت بالمقارنة بين ظاهرة الاستبعاد الاجتماعي بين مدينة ومدينة أخرى.

-